شبكة الطريق إلى الله

طريقك نحو معرفة الله

Way2allah.com

اسم المادة: الحرص على الدنيا ذئب يأكل الدين

من سلسلة: قيم تربوية

لفضيلة الشيخ: د. أحمد سيف الإسلام

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: الحرص على الدنيا ذئب يأكل الدين
من سلسلة: قيم تربوية
لفضيلة الشيخ: د. أحمد سيف الإسلام

الحمد لله عدد ما خلق، الحمد لله ملء ما خلق، الحمد لله عدد ما في السماوات وما في الأرض، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، الحمد لله على ما أحصى كتابه، الحمد لله عدد كل شيء، الحمد لله ملء كل شيء، اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد.

أُمِرنا بتحصيل الإيمان، ربنا –سبحانه وتعالى– أمرنا إن احنا نحصل الإيمان، ووضح الله –سبحانه وتعالى– لنا معنى الإيمان، وجاء النبي –صلى الله عليه وسلم– ليطبق هذا الإيمان، وربنا –سبحانه وتعالى– أمرنا إن احنا نقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونحفظ العهود ونكون أمناء على العهد، ونقوم بالشهادة، يعني فيه تفاصيل كثيرة من تفاصيل الإيمان وتوسع الإيمان حتى وصل بضع وسبعون شعبة.

ولكن النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو النهاردة يعني موضوع المجلس، النبي –صلى الله عليه وسلم– حذرنا من تضييع الإيمان.

احنا تكلمنا قبل كده على مسألة رفع الإيمان وإن الإيمان ممكن يضيع، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– هنا بيوضح لنا كيف نحرص على الإيمان، إن فيه واحد عنده حاجة حريص عليها، حريص، الحريص على المال بيخاف إن المال يضيع، فيه أب بيجتهد اجتهاد في حياته كبير جدًا ليحصل المال، وبعد ما يحصل المال يديه لأبنائه فالأبناء بيضيعوا المال، ليه بيضيعوا المال؟ متعبوش فيه، فالأب دايمًا يقول له يا ابني اعمل كذا يا ابني خد بالك من كذا، الابن ممكن يعتبر إن ده أبوه بيضيق عليه، لكن أبوه لأنه تعب في المال بيبقى حريص إنه ميضيعش، ممكن حد يرى هذا المشهد؛ الابن ممكن يرى الأب بخيل أو الزوجة ترى الزوج بخيل، وهو ممكن يكون عنده بخل حقيقة وممكن يكون لا، ممكن يكون حريص على عدم تضييع المال لأنه يرى اللي أمامه سفيه أو لا يحسن التصرف في المال. وهكذا، فيه واحد بيبقى عنده ممتلكات، فيه واحد بيبقى عنده كتب، فيه واحد بيرث علم، فيه واحد بيرث بيئة معينة ممكن بها يترقى في الدنيا أو يترقى في معارج الرقي بطريقة أسهل بكثير من غيره الذي ليس عنده مثل هذه البيئة.

واحد وُلد مثلًا في بيت علم أو بيت إيمان أو بيت دين أو بيت غنى فهو بيبقى منوط به إنه يكمل على إيه؟ على إثر آبائه، يقول لك ده فلان من بيت غني، طب وبعدين؟ يقول لك ضيع الفلوس، ضيعها ازاي؟ بيشرب مخدرات، ففضل يصرف في مال أبوه لحد ما با ع كل حاجة، ولو حد تاني مكانه كان ممكن على نفس القاعدة التي انطلق منها هذا؛ كان ممكن ينمي ويثمر.

النبي –صلى الله عليه وسلم– هنا بيحذرنا أو بيشير إلينا ويوجهنا لمسألة إن احنا نحرص على الإيمان، إنك حوط عليه، إن اوعى دينك يضيع، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– ذكر لنا معنيين بيضيعوا الدين، وشبه النبي –صلى الله عليه وسلم– مثل عظيم، مثل جميل أوي في تضييع هذا

الدين، ازاي إن ممكن دينك يضيع وأنت مش واخد بالك، مين اللي هيضيع دينك؟ اللي هيضيع دينك نفسك، يعني اللي هيضيع دينك مش حد خارجي مش الشيطان، مش حد من بره لا لا لا، حاجة من جوه النفس، كأن النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول: أن الحرص على الدين أو أن إقامة الدين واستمرار الدين والحفاظ على الدين من الضياع يحتاج منا إلى تعاهد، يحتاج إلى مراقبة، يحتاج إلى تزكية إنك تزكي نفسك من مرضين، لأن المرضين دول لو موجودين عندك مهما حصلت من الدين؛ الدين ده يضيع تاني.

عارفين زي الماسك شوال بيعبي فيه وهذا الشوال يعني بيجمع فيه أشياء جميلة وجواهر وحاجات لها قيمة أو عنده علبة يرى ويظن أن هي مكان المقتنيات بتاعته والعلبة دي فيها خرق مفتوحة فيها فجوة فاللي بيحطه بينزل؛ الحصالة مخرومة.

فهنا النبي –عليه الصلاة والسلام– بيحذر أصحابه من تضييع الدين، فبيقول: "ما ذئبان جائعان أُرسِلا في غنمٍ بأفسدَ لها من حِرصِ المرءِ على المالِ والشرفِ لدِينِه"[1]، ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم، يعني لو أنت تخيلت كده إنك جبت غنم وحطيت على الغنم ذئبان جائعان، تفتكر الديابة هتعمل إيه في الغنم؟ هتفتك به، هتشرده هتفسده هتفسد جماعة الغنم؛ هتأكل البعض وتشرد بعض، هيضيع الغنم، طيب مشهد الضياع ده؟ مشهد الافتراس ده؟ مشهد إن فيه حاجة ضيعت الغنم والمقدرات والممتلكات؟ المشهد ده مشهد لو أنت رسمت جواك كده؛ تقول أنا ماحبش إن أنا يكون عندي حاجة تضيع بهذه الطريقة، ماحبش إن يجي حد يفترس ممتلكاتي بهذه الطريقة، ماحبش أكون أنا الغنمة، وماحبش إني يكون عندي حاجة تكون زي الغنمة، ماحبش أكون مستضعف.

فالنبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول لك بأفسد لهذا الغنم من حرص الرجل على المال والشرف، يعني حرص الرجل على المال والشرف يفسد الدين أكثر من إفساد الذئبان الجائعان للغنم.

هو إيه حرص المرء على المال والشرف؟

يعني إيه القيمة اللي النبي –صلى الله عليه وسلم– بيحذرنا منها؟ النبي –عليه الصلاة والسلام– بيحذرنا من إنك يزداد حرصك أو إنك تكون حريص، حريص بتحاوط على المال والشرف.

أمال أتعامل مع المال ازاي؟ تعامل مع المال بسخاوة نفس، تعامل مع المناصب بسخاوة نفس، أنا مش محتاج، باستعلاء، ماتتعاملش مع المال بشهوة الحرص.

النبي –صلى الله عليه وسلم– هنا بيحذر المسلمين عمومًا من تفرق جماعتهم، ومن تضييع دينهم، بسبب إنهم قاعدين بينهم وبين بعض جزوع هلوع منوع، بسبب إنهم بينهم وبين بعض قاعدين يحرصوا على المال والشرف. قال –تعالى–: "وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا" الفجر:٢٠، قال –تعالى–: "وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ" العاديات:٨، قال –تعالى–: "وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ" الحشر:٩، قال –تعالى–: "وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ" في الصلح آية النساء "وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا" النساء:١٢٨.

إن ربنا –سبحانه وتعالى– لما ذكر إن الرجل بيتشاجر مع زوجته، وإن المرأة تخاف إن زوجها يطلقها فربنا –سبحانه وتعالى– أمر المؤمنين بالصلح وأمر الزوجة والزوج إن هما يحاولوا الإصلاح بينهما، يحاولوا الإصلاح فيما بينهما، وقال: "وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ" الشح ده بيقول لك الحرص على استيفاء الحقوق.

فيه حاجة اسمها يا جماعة محكمة، حكومة عادلة، حاجة في الشرع، احنا مش لفظ الحكومة اللي عند الناس الآن، لفظ المحكمة أو الحكومة العادلة يعني حكم عادل، حكم شرعي بين الناس، فيه شجار معين أو فيه خلاف معين فيقول لك أنا أروح للقاضي ويحكم بيننا أو أروح للعالم

[1] أخرجه الترمذي وأحمد

ويحكم بيننا، اللي هو "أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ –أي إذا تنازعتم أنتم مع ولاة أموركم قال– فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" النساء:٥٩، يحكم بينكم مين؟ الشرع، أهل العلم، علشان كده يقولوا مين أولي الأمر؟ يقولوا العلماء والأمراء الذين لهم طاعة، جعلها الله مقيدة بإيه؟ بطاعة الشرع، يعني انت مش مطالب إنك تطيع حد مطلقًا إلا الله –سبحانه وتعالى– والنبي –صلى الله عليه وسلم– من بعده، مبلغ عن الله، فيما سوى ذلك عليك إنك تطيع أبوك، فين؟ في المعروف، إن الزوجة تطيع زوجها، فين؟ في المعروف، عليك إنك تطيع ولي الأمر، فين؟ في المعروف، مين ولي الأمر؟ العلماء، ثم الأمراء الذين يتبعون الشرع.

طيب إن تنازعتم، لو حصل خلاف؟ قال فردوه إلى مين؟ إلى المحكمة؛ المعيار إلى الشرع إلى الوحي هو الذي يُتبَع مطلقًا، كلام الله وكلام النبي –صلى الله عليه وسلم–. وفيه حاجة اسمها صلح، صلح يعني إيه؟ يعني أنا مش أحكم حكم، لا احنا هنتصالح، يعني ممكن يكون الحق لك شوية أو عليك شوية بس احنا في الآخر إيه؟ هنتصالح، اللي هو "وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا" الحجرات:٩، صلح، لأنك لن تستطيع أن تحكم حكومة عادلة في غاية العدل؛ لأن فيه بواطن وفيه ظواهر وفيه كلمات اتقالت في النص وفيه حاجات مش محسوبة وفيه اعتبارات مش متشافة وفيه حقوق ممكن تكون مخفية معليهاش دليل ودايمًا القاضي بيحكم بالأدلة لا يستطيع أنه يحكم بالإيه؟ بالبواطن، لا يعلم الباطن إلا الله –سبحانه وتعالى–.

ربنا –سبحانه وتعالى– لما تكلم عن الإصلاح بين الزوجين قال: "وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ" إن النفس تبقى شحيحة، يقول لك "لا هاخد حقي لا ده قال لي" وبيستحضر كل المشاهد اللي هو فيها إيه؟ مظلوم، ونسيت المشاهد اللي أنت فيها اجترأت وظلمت؟ ربنا بيقول: "وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ" أهلك من كان قبلكم الشح والبخل، تهلك الأمم بالجبن والبخل، وتقوم الأمم بالكرم والشجاعة، علشان كده ربنا ما جعل استبدال الرجال إلا في ترك الشجاعة ترك الجهاد "وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ" محمد:٣٨، وترك الإيه؟ الإنفاق ترك الكرم، يعني مجاش لفظ "وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ" إلا فين؟ إلا في ترك الشجاعة وترك الكرم؛ الإنفاق.

هنا النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول "ما ذئبان جائعان أُرسِلا في غنمٍ بأفسدَ لها من حِرصِ المرءِ على المالِ والشرفِ لدِينِه" يفسد الحرص على المال والشرف الدين، يفترس الدين، يضيع الدين.

الناس يبذلون المال لتحصيل الإيه؟ المناصب والشرف والرفعة والرياسة، طبعًا أنا مش هقول لكم اتفرجوا في الشوارع وانتم تشوفوا الناس بتبذل أد إيه؟ لتحصيل المحمدة في قلوب الخلق والظهور عند الناس، قد يبذل الرجل مئات الملايين ليحصل أمر معنوي، قد يقتل ويسفك الدماء ليكون في مكانة معينة، بل أكثر معارك البشرية كانت على المناصب، يعني أكثر الخلافات بين الناس والمعارك التي قُتلت فيها أو سُفكت فيها الدماء بكثرة كانت دائمًا على اللي إيه؟ على المناصب.

وهنا شرح بقى الحديث أكثر من واحد، يعني ابن رجب وغيره، تكلموا على مسألة الحرص على المال والشرف، فبيقول إن الرجل ممكن يطلب الشرف والرفعة عن طريق المال أو عن طريق السلطة، يريد أن يترأس، يريد أن يكون مديرًا، يريد أن يكون مطاعًا بشيء من الولايات التي يتولاها، يريد أن يأمر وينهى، والله –سبحانه وتعالى– قال: "تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" القصص:٨٣.

كان من جميل كلام شيخ الإسلام إنه قال: "هذه قسمة رباعية؛ أن هناك من الناس من يحرص على العلو ولا يحرص على الفساد، وهناك من الناس من يحرص على الفساد ولا يحرص على العلو، وهناك من الناس من يحرص على العلو والفساد، وهناك من الناس من لا يحرص لا على العلو ولا على الفساد وهؤلاء هم المتقين"، "تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَادًا" قال المثال الذين يحرصون على الفساد زي السراق الحرامية، والفجار الزناة اللي بيسموهم عندنا دلوقتي أي اسم تاني بقى فنانين لهم أسماء كده علشان يغيروا معنى الزنا،

single mother، يعني أي اسم بيتقال حتى إن مينفعش يتقال عليه اللفظ ده، الشذوذ؛ تحرر، والزنا؛ وفيها إيه لما المرأة تنجب بغير زواج! ميسموش زنا يسموه صحوبية، وفيها إيه لما المرأة يكون عندها تطلع إلى إنها يكون لها ولد ولا يكون لها زوج! فهنا بيقول "هناك من يريد الفساد ولا يريد العلو وهناك من يريد العلو ولا يريد الفساد" زي من تعلم العلم ولم يزكي نفسه في ترك العلو وترك الحرص على العلو على الناس، علشان كده قال: "من أراد أن يطاع فلا يعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يكفر فقد نازع الله في ألوهيته" إن الوحيد الذي يطاع ولا يُعصى والذي يُذكر ولا يُنسى والذي يُشكر ولا يُكفر هو مين؟ هو الله –سبحانه وتعالى–. فلا تريد، متبقاش دي إرادتك، إنت إرادتك رضا الله –سبحانه وتعالى–، إرادتك القرب من الله –سبحانه وتعالى–، إرادتك تحصيل مراد الله –سبحانه وتعالى–، إرادتك إنك تحافظ على إيمانك اللي أنت حصلته.

يا جماعة اللي اشترى عربية غالية بيحطها في جراج لأنه هو خايف عليها إنها تتخدش، كان جايب عربية بمليون و ٨٠٠ ألف فبيقول له أنت سايبها في الشارع ازاي؟ قال له هيحصل إيه؟ قال له يعني أنت جايب العربية ومش عارف تدفع فلوس الجراج؟ محتاجة تتحط في جراج علشان محدش معدي في الشارع يخبطها ولا يكسر مرايتها ولا يخدشها، غالية، لكن اللي جايب عربية على أده أو اللي راكن عجلة مش هيحتاج يحطها في جراج لأنه هو تمن الإيجار هو يحتاج إليه.

اللي بيحصل إيمان بيبقى خايف عليه، لذلك أنت أحيانًا واحد يقول لك ما تيجي نروح في المكان الفلاني؛ مكان مثلًا فيه معصية فيه فجور فيه فساد فيه اختلاط شديد، فيه بنات عريانة –كل إنسان له مدخل ونقطة ضعف– فيه ذكر أشياء ممكن تفتنك أنت عن دينك، أنت عارف نقطة ضعفك البنات، أنت عارف نقطة ضعفك الفلوس، أنت عارف نقطة ضعفك، فيه رشوة فيه حتة لو خدتها هتضيع، يقوم يعمل إيه؟ يقول لك أنا مش هروح المكان ده، يقول له يا عم تعالى وفيها إيه أنت مأزمها ليه كده؟ هو بالنسبة له معندوش مشكلة إنه يروح، ممكن تكون مش نقطة ضعفه أو ممكن يكون معندهوش حاجة يخاف عليها.

عارف لما تبقى سايق عربية غالية وجاي مثلًا توكتوك أدامك فأنت بتقول له حاضر أنا آسف ارجع أنت لأن أنت لو دخلت فيه هو أنت الرفرف بتاعك تمن التوكتوك على بعضه، يعني تمن الرفرف ده غالي، تمن الفانوس ده أغلى، فأنت عندك حاجة تخاف عليها وهو معندهوش حاجة يخاف عليها. زي اللي خايف على سمعته وفيه واحد صايع واقف بيشتم في الشارع، لو أنت دخلت هو معندهوش حاجة يخاف عليها هو طول النهار بيشتم ويتشتم، لكن أنت عندك حاجة تخاف عليها، أنت بتخاف على عرضك، على موضع المدح والذم، بتصون عرضك عن أن يلاك، فمتدخلش في مهاترة مع مين؟ مع واحد زي ده ضايع هو معندهوش حاجة يخاف عليها أصلًا.

ابن كثير بيقول في قول الله –سبحانه وتعالى–: "تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" قال: الذي ترفع عن الخلق وتعاظم عليهم وتجبر بهم، يعني هؤلاء الذين تكبروا على الناس أرادوا العلو والفساد.

يبقى فيه ناس أرادت العلو ولم ترد الفساد، زي من عاش في الدنيا هو مش عايز يبقى فاسد بس عايز يكون له مكانة، وفيه واحد أراد الفساد ولا يريد العلو، وفيه واحد أراد العلو والفساد زي الظالمين والحكام الظلمة والأمراء الفسدة والقضاة الفسدة، زي كل صاحب منصب فاسد هو يعلم أنه لن يستمر في منصبه إلا إذا أفسد من حوله، اللي هو فرق تسد، اللي هي جعل زي فرعون كده جعل أهلها شيعًا، ليه ليه؟ هو أراد العلو وأراد الفساد "إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ" القصص:٤، فكان عاليًا فاسدًا، والرابع أهل الإيمان لا يريدون لا علو ولا فساد.

وفي هذا المعنى يقول يزيد بن عبد الله وكان من القضاة العادلين: من أحب المال والشرف وخاف الدواهر لم يعدل فيها، يعني خاف تقلب الدهر مع أنه يخاف لكنه من حرص على المال والشرف لم يستطع أن يعدل، ليه؟ فيه حاجة هتميل الكفة، مش هيعرف وهو بيحكم يبقى

صافي، فيه مصالح شخصية، لو دخلت المصالح الشخصية مش ممكن هتتوزن، وكلنا نعرف حديث أبي هريرة قال: "إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمارَةِ، وسَتَكُونُ نَدامَةً يَومَ القِيامَةِ، فَنِعْمَ المُرْضِعَةُ وبِئْسَتِ الفاطِمَةُ"[٢] يعني لو أنت داخل فرحان أوي وتقول أخيرًا هنصلح بقى، وفي الآخر خالص تضيع الناس، إما بضعفٍ أو بضعف أمانة أو بخيانة، وربنا –سبحانه وتعالى– جعل المناصب منوطة بالقوة والأمانة، اللي هو قالت إيه؟ "يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ" القصص:٢٦.

لأن أحيانًا أنت ممكن تكون عندك أمانة، ديّن وصاحب تقوى بس ضعيف، زي ما النبي –صلى الله عليه وسلم– قال لأبي ذر: "إنها أمانة وإنك لا تقدر عليها" إنك ضعيف، مش علشان معندوش دين ده دينه عالي جدًا "ما أَظَلَّتِ الخضراءُ، ولا أقَلَّتِ الغَبْراءُ من ذي لهجَةٍ أصدقَ ولا أوْفى من أبي ذَرٍّ"[٣] لكن الباب ده محتاج حد قوي في الباب "قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ" يوسف:٥٥، إن أنا مش هجيب واحد صاحب تقوى وأوليه في كل حاجة إلا إذا كان قوي، وبقى عندنا مصيبة إن احنا لغينا معيار التقوى من اختيار المناصب، تحت زعم اختيار القوة فضاعت القوة وضاعت الأمانة.

لا الأصل إنك أنت بتختار الأمين القوي أو القوي الأمين، القوي في بابه والأمين على إيه؟ على الدين، طب أنا معنديش. شيخ الإسلام قال حط اثنين واحد قوي والمساعد أمين على حسب الوظيفة، يعني لو قاضي؛ حط واحد فقيه وواحد جنبه إيه؟ أمين تقي، لو واحد بتاع جيش؛ حطه قوي وحط المساعد إيه؟ أمين، وده من أحد الأشياء التي فسروا بها معيار عزل عمر لخالد وتولية أبي عبيدة، لأن خالد كان قوي وعمر كان قوي، وكان عمر يحتاج إلى أمين فاختار خير أمين أبي عبيدة بن الجراح، النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: "لِكُلِّ أُمَّةٍ أمِينٌ، وأَمِينُ هذِه الأُمَّةِ أبو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ"[٤] ليه؟ لأنه قوي مع قوي هتبقى فيها إيه؟ هيبقى فيها مشكلة، هيحملوا الأمة على العزم، وكان ده من فقه عمر، هو يعلم من نفسه أنه فيه إيه؟ فيه قوة وعزم، أبو بكر الصديق اختار خالد لأنه كان أبو بكر اجتمع فيه القوة والأمانة، فلم يكن عنده إشكال في هذا في قوة خالد، ده أحد الأوجه اللي وجه بها العلماء لماذا كان من القرارات الأساسية لعمر عزل خالد مع قوة خالد.

هنا بيقول إن الرجل ممكن يطلب الشرف والرفعة عن طريق المال أو عن طريق السلطة، والنبي –صلى الله عليه وسلم– حذر إن الرجل يطلب الشرف والرفعة أو يحرص على الشرف والرفعة، حتى يحمله طلب هذا الشرف والرفعة في الدنيا وأن ينال شرف ومال كبير إنه يضيع دينه، فبيقول إن هذا الحرص من داخل النفس –خد بالك إن هو مش من خارج النفس، ده منين؟ ده شح جوه النفس– ومواجهة الشح تحتاج إلى بذل إلى إنفاق، يعني أنا عايز أحل إني أنا عندي شح في نفسي أعمل إيه؟ انفق، ابذل، اترك، مش حل الشح إن احنا نتكلم. النبي –عليه الصلاة والسلام– يقول: "إنَّا لا نُوَلِّي هذا مَن سَأَلَهُ، ولَا مَن حَرَصَ عليه"[٥].

<u>القسم الثاني</u> هو ذلك الإنسان الذي يطلب الرفعة في الدنيا والمحمدة في قلوب الخلق والعلو على الناس بالأمور الدينية، وهذا أسوأ من الأول، ذلك يطلبه بنوع ولاية، وهذا يطلبه بالدين وبالعلم والزهد والتقشف. خد بالك إنه مش بيطلبه بالدين بإرادة العلو أمام الناس إنما بالدين، فهذا أفحش من الأول، وفساده أعظم وأخطر، فإن العلم والعمل إنما يُطلب ذلك جميعًا رجاء ما عند الله، لا يُطلب بشيء من الدنيا، ولهذا يقول الثوري: إنما فُضِّل العلم لأنه يُتقى به الله وإلا كان كسائر الأشياء.

---

[٢] صحيح البخاري
[٣] أخرجه الترمذي وابن حبان
[٤] صحيح البخاري
[٥] صحيح البخاري

العلم الشرعي، إنك لم تؤمر إنك تطلب العلم الشرعي علشان تنال به منصب، ولا علشان تطلع فتوى ما يطلبه المستمعون، ولا علشان ترضي الخلق، علشان كل واحد من الناس عايز فتوى تديهاله علشان تقول له ده حلال، إنما أمرت أن تتعلم العلم لتعمل به، ولتبينه للناس ولتبلغه للناس لتحمل ميراث الأنبياء لتنال به رضا الله –سبحانه وتعالى–.

علشان كده أحسن من قال: "ازهد فيما عند الناس" لأن الناس آذوا الجميع، فاعتبر أن كل ما عند الناس يُزهد فيه، اطلب من الله، إذا استعنت فاستعن بالله، "يا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ"[٦]

إنك تطلب من الله وحده، إذا سألت فاسأل الله، وفي هذا حديث: "مَن تعلَّم علمًا مما يُبتَغَى به وجهُ الله، لا يتعلمُه إلا ليصيبَ به عرضًا من الدنيا لم يجِدْ عَرفَ الجنةِ"[٧] يعني ريح الجنة. إن لا يطلب الدين لأجل الدنيا.

عارفين كان البخاري لا يفصح عن شخصيته أمام الناس، مكانش أيامها فيس بوك ولا تلفزيونات علشان الناس تعرفه، وكان له ورّاق، فكان يأمر الوراق أن يشتري له، يعني كان عنده خادم، دي كانت ثقافة معروفة عند الناس، فكان يقول له روح أنت اشتري وبيع في السوق، فكان لا يحب أن يشتري ويبيع في السوق حتى لا يأكل بدينه.

يقول رجاء بن أبي سلمة: "نُبئت أن ابن محيريز دخل على رجل من البزازين يشتري شيئًا، فقال له رجل حاضر: أتعرف هذا؟ هذا ابن محيريز. فقال: "إنما جئنا نشتري بدراهمنا لا بديننا" قال له أنا جاي أشتري بفلوسي مش بديني.

إذا ذهبت إلى السوق وعرفك البائع، وأراد أن يضع لك من السعر لأنك فلان بن فلان، بتفرح عارفني ده أنا مشهور، ادهاني، الرجل كان له فكر آخر قال له لا، اعتبر إن دي نقطة خطر على دينه، قال له أنا جاي أشتري بإيه؟ بدراهمي بفلوسي مش بديني.

وكان لأيوب السختياني بردٌ أحمر –رحمه الله– يلبسه إذا أحرم، وكان قد جعله أو اتخذه كفنه، يقول حماد: كنت أمشي معه فيأخذ في طرق لأعجب كيف يهتدي لها، فكان يفعل ذلك فرارًا من الناس حتى لا يقول الناس هذا أيوب، حتى لا يُتَّبع.

النوع الثالث: من يطلب بالعلم والعمل والزهد يطلب الرئاسة على الخلق والتعاظم عليهم وأن ينقاد الخلق له، أن يظهر للناس زيادة علمه وتقواه وورعه من أجل أن يعظموه ويحمدوه. "مَنْ تعلَّمَ العلْمَ ليُباهِيَ بِهِ العلماءَ، أوْ يُمارِيَ بِهِ السفهاءَ، أوْ يصرِفَ بِهِ وجوهَ الناسِ إليه، أدخَلَهُ اللهُ جهنَّمَ"[٨]. لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا تخيروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار. نسأل الله العافية. وطبعًا الحديث المشهور "لا تترأس المجلس". فيه واحد يريد العلو وحريص على العلو بالتقشف والزهد، وفيه واحد حريص على العلو بإظهار العلم وتصدر المجالس.

ابن أبي مليكة يقول: "قابلت ثلاثين من أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– كلهم يخاف على نفسه من النفاق، وما سئل أحدهم مسألة إلا وأشار إلى أخيه". يعني لما تكون قاعد في مجلس وعندك معلومة، والمجلس ده يقول له فلان يتكلم، ليه؟ مش ورع كاذب، لأن أنت أحيانًا تأثم، لكن لو متكلمتش لأن الكلام هيبقى غلط لو عندك علم، لكن هو هنا ده وضع حقيقي، الرجل لا يريد أن يترأس، والعاقل يفكر قبل أن يتكلم، والأحمق يتكلم ثم يفكر، هو رجل عاقل قاعد في مجلس، وهو قاعد وبيتسأل السؤال بيحاسب نفسه هو أنا هقول الكلام ده ليه؟ علشان أظهر علمي وتنطيطي على الناس وتكبري على الخلق؟ ولا هقول الكلام ده دين، أجهر به "وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ" المعارج:٣٣، شهادة لله أو كلمة حق.

---

[٦] صحيح مسلم

[٧] أخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد

[٨] صححه الألباني

كان بيسأل نفسه سؤال: هو أنا هقول الكلام ده ليه؟ علشان أترأس المجلس وأكون أنا قاعد ليا مكانة في وسط الناس بالعلم؟ ولا أقول الكلام ده أبتغي بيه وجه الله؟

طلب الشرف والحرص يستلزم أن يرخص الإنسان دينه قبل أن يحصله، يبذل الدين من أجل أن يترفع، فليس له وجه واحد، بل وجوه، فيفتي لكل أحد بما يحب، كل ذلك من أجل أن يجد الحظوة، ثم إذا حصل له ذلك لا تسأل عما يحصل له من الآفات، تكبر وتعاظم ورد الحق واحتقار الناس. بيقول إن ده لو حصل بقى العلم يُشترى، وده سبب من أسباب ضلال وضياع دين، بل واستبدال بني إسرائيل.

"يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ" البقرة:٤٧، ربنا –سبحانه وتعالى– فضل بني إسرائيل على إيه؟ إن ربنا فضل بني إسرائيل على العالمين، ثم ربنا –سبحانه وتعالى– ذكر في كتابه أنه استبدل بني إسرائيل، ليه؟ يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا، بقى بيبيع الدين لمن يدفع أكثر، استعمل العلم، إيه اللي خلاه يبيع الدين؟ الحرص؛ الحرص على الشرف والمال.

يقول الزهري: "ما رأينا الزهد في شيء أقل منه في الرئاسة" بيقول أكثر حاجة شفنا فيها الناس مبتزهدش فيها كانت إيه؟ الرئاسة. تجد الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال، فإذا نوزع الرئاسة حامى عليها وعاذ، سخن ووالى وعادى، ليه؟ منصب. علشان كده كان بيقول يوسف بن أسباط: "لا يمحو الشهوات إلا خوف مزعج من الله أو شوق مقلق" يعني إلى الدار الآخرة. وقال: "الزهد في الرئاسة أشد منه في الدنيا".

دي نقطة مهمة، إن احنا محتاجين إن احنا نكسر الحرص اللي جوه قلوبنا على المال والشهرة، ونحول هذا من أن يكون نقطة ضعف إلى نقطة قوة. لما يكون حريص أوي على المال مبيفرقش معاك تجيبه من حلال ولا من حرام، ودي بتبان في عين كثير من الناس، إن هو مش هدفه حلال وحرام، هو عايز ده الآن، والحرص تمكن منه بقى عامل زي السبع اللي بيفترس حاجة. إيه المُفترَس بقى؟ دينك اللي بقى مفترس دينك، اللي بقى غنمة بياكلها الذئب دينك، وإيه الديب؟ الحرص.

<u>والرابع</u>: قال أذكر فيه نماذج من خوف السلف من الناحية العملية يخافون على أنفسهم من هذا البلاء.

جاء عمر بن سعد بن وقاص عن جميع أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– جاء إلى أبيه وهو في البادية في إبله، شوفوا كلمة سعد بن أبي وقاص لابنه، عمر بن سعد بن أبي وقاص جاء في زمن الفتنة، وسعد بن أبي وقاص كان خال النبي –صلى الله عليه وسلم–، وكلكم يعلم سعد، سعد مبشر بالجنة، فجاء ابنه عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى سعد بن أبي وقاص وكان له مكانة عند أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم–، وسعد ممن اعتزل الفتنة، يعني لما لقى الصحابة دب بينهم الخلاف، اعتزل بعد موت عثمان والخلاف على ثأر إيه؟ عثمان بن عفان –رضي الله عنهم جميعًا–.

فجاء عمر ابنه؛ ابن سعد بن أبي وقاص، عمر ده ابنه، فجاء إلى البادية إلى أبيه وهو في البادية، فلما رآه سعد من بعيد قال: "أعوذ بالله من شر هذا الراكب، وكان سعد بن أبي وقاص صاحب دعوة مستجابة، لما مر رجل يومًا على رجل يشتم علي بن أبي طالب فقال يا هذا أتعرف عمن تتكلم؟ فإذا بالرجل يشتد على علي بن أبي طالب، وكان لا يملك سعد أن يرد، أحيانًا الواحد بيحكي لك تفاصيل مش عارف التفاصيل دي إيه، فقال: اللهم إن كان هذا كاذبًا فأرني فيه آية، فسقط الرجل ميتًا، قدام الناس، كان سعد بن أبي وقاص صاحب دعوة مستجابة.
أحيانًا بتلاقي واحد بيتكلم بالباطل كثير ومش عارف ترد.

الإمام أحمد كانوا لما يقعدوا يجيبوه يمين وشمال ويكلمهم يقول إيه؟ "قال تعالى كذا" أنا مش عارف أنتوا بتقولوا إيه أصلًا، أنا مش فاهم انت بتطنطن بتقول إيه، المصطلحات الغريبة اللي أنت قاعد تقولها والألفاظ الغريبة اللي أنت قاعد تقولها، والمعاني اللي أنت دخلت الناس فيها، الشرع مش كده أصلًا وربنا مأمرش بده أصلًا.

فهنا سعد بن أبي وقاص لما جاءه ابنه، ابنه جاي بيعاتب عليه لماذا لا تحرص على هذا الأمر؟ ما هو ابنه لما يبقى أبوه خليفة هيبقى ابن الخليفة، فجاي بيؤز أبيه إنه هو إيه؟ يدخل في المعترك، وإذا دخل له كلمة مسموعة، فقال أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فنزل فقال له عمر: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ قال له أنت قاعد هنا في وسط الغنم والإبل وسايب الناس يتنازعوا الملك؟ ضربه سعد في صدره وقال اسكت، سمعت النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ، الغَنِيَّ، الخَفِيَّ"[٩] قال له: اسكت، أنا عارف أنا رايح فين، أنا عارف ديني فين.

لما سئل عن موقفه فقال: "مثلنا كمثل رجل يركب على فرسه ثم جاء الغبار والضباب، فوقف مكانه حتى ينجلي الغبار". قال له أنا مش شايف، ده ضباب. فالحل فيه، أسلم حل هو إيه؟ أقف مكاني، رجل حريص على دينه.

يبقى مَنْ حَرِصَ على دينه ضيع حرصه على الدين؛ حرص نفسه على الشرف والمال، ومن حرص على الشرف والمال زاد هذا الحرص على الشرف والمال حتى زال حرص على دينه.

الحرص ده حاجة جواك، لو أنت حريص على أنك تحافظ على المال والشرف دينك يضيع، لو زاد هذا الحرص عن حده دينك يضيع، موجود وعليك أن تزكيه، قال: "وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ" الحشر:٩. لو حرصت على دينك حتكسر داخل نفسك الحرص على المال والشرف.

الحرص ده؛ فيه فرق إني أنا محتاج آكل، وفرق إني أنا بحرص على المال "وَجَمَعَ فَأَوْعَى" المعارج:١٨. يعني فيه فرق بين واحد يعمل ليأكل، ويعمل لينتج، ويعمل لينفق، ويعمل ليأكل من حلال ويعمل لأجل إنه هو يقيم أمر الله –سبحانه وتعالى– في عمله، وفرق بين واحد حريص على الدنيا زي قارون. قال: "إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ" القصص:٧٦. قارون عنده فلوس ومع ذلك هو مصمم إنه هو إيه؟ يجيب أكثر، طيب ابذل هذا المال لله، ربنا أعطاك هذا المال لتنفقه، أعطاك هذا المال لتستمتع أنت به وتؤدي حق الله فيه.

فيه ناس كده، هو مش حريص إنه يستمتع حتى بالمال اللي هو جابه، بيحوش بس، وبيجيب بس، حتى نسي إنه هو نفسه يستمتع بهذا المال، نسي نفسه هو نفسه يقف مع نفسه وقفة ليتمتع بهذا المال، هو نفسه معدش بيتمتع بالمال، مش عايش بالمال ده، حريص، الحرص ده هيخليه يكسر حاجات في دينه، لأن حرصه ده هيخليه هيتعارض مع قواطع شرعية، مع ربا، مع أوقات صلاة، مع معاملات، مع أكل أموال اليتامى، حريص، هيعمل إيه؟ هيقول لا والله دول يتامي؟ هاكل، مع أكل ميراث، مع خيانة لعهود ومواثيق هو قطعها على نفسه ممكن يخلفها ويخونها ويغدرها ليه؟ حريص على المال. في هذا قتلت، في هذا سرقت، في هذا قطعت رحمي، يقطع أخته ليه؟ علشان يأخد منها حتة ميراث مع إنه مش حقه، ليه؟ حريص، فضاع دينه بحرصه.

النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول لك من الأول تخلص منها علشان لما تيجي عند المحك وعند التجربة العملية ماتقعش. تخلص من الحرص على الشرف علشان الحرص على الشرف ده ممكن يوقعك.

[٩] صحيح مسلم

الفضيل بن عياض يقول: "وددت أنه طار في الناس أني مت حتى لا أُذكر، إني لأسمع صوت أصحاب الحديث فيأخذني البول فرقًا منهم"
وكان يقول: "لم تكرهونني على أمر تعلمون أني له كاره؟ لو كنت عبدًا لكم فكرهتكم؛ كان نوالي أن تبيعوني، لو أعلم أني إذا دفعت ردائي هذا إليكم ذهبتم عني؛ لفعلت"

ذكر الأثر ده عن الفضيل بن عياض ليه؟ ليبين لك صورة من صور الناس اللي كانت زاهدة في السيادة والشرف عند الناس، صاحب علم والناس جاية تتعلم دين وبيقول لهم أنا ماجيش عبد، بيفر، ليه؟ ليه بيفر؟

يطلع لك واحد بقى عنتيل كده يعني إيه؟ صاحب بصيرة كده وعلم ويقول لك يعني مش هو المفروض كان يبلغ الدين وهو بيفر من تبليغ الدين؟

هو بيفر مش من تبليغ الدين، هو بلغ الدين، هو بيفر من الظهور، هو لا يحرص على أن يكون متصدرًا ظاهرًا عند الناس، هو لا يريد أن يكون له مكانة عند الناس، هو نفسه في نفسه صغير، يعني هو يرى نفسه عند نفسه في مكانة معينة.

علشان كده كان من الحاجات الجميلة أوي إن عمر بن عبد العزيز يُذكر أنه يومًا بنى مسجدًا كبيرًا جامعًا وقال: "احمدوا الله –سبحانه وتعالى– فإنه لولا أن الله –سبحانه وتعالى– هدانا ووفقنا لما فعلنا ذلك، لكنا في عداة العصاة والفجرة" بيقول لهم اوعى حد يقول شكرًا لعمر بن عبد العزيز، إنما بيقول إيه اشكروا الله وحده لا شريك له، أن يُذكر الله، أن يُثنى على الله، إنك تحب إنه دائمًا يُنسب الفضل لله، "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ" الأعراف:٤٣. طب ما فيه أسباب؛ لكن أهل الإيمان كسروا الحرص على أن ينالوا منزلة عند الناس، إنك يكون هدفك كله إنك تنال منزلة عند الله –سبحانه وتعالى–.

جاء رجل إلى إبراهيم النخعي يسأله، قال: ما وجدت من تسأل غيري؟
قال له هو مالقتش حد تسأله إلا أنا؟
ويقول مالك: "ما أفتيت حتى سألت سبعين شيخًا هل ترون لي أن أفتي؟"
شوفوا الناس كانت حريصة ازاي؟
الشافعي يقول: "وددت أن الناس تعلموا هذا العلم وما نُسب إلي منه حرف واحد"

ده الأصل، إلا إذا احتيج إلى غير ذلك، الأصل هو عدم الحرص على المال والشرف، ودي مسألة داخل النفس البشرية، يعني أنت مش هتقدر أقول لك قل إيه ومتقولش إيه، لكن الأصل إنك تنسب دائمًا الفضل إلى الله، ولا تذكر إلا عطاء الله، وتكثر من ذكر جلال الله وفضل الله وكرم الله عليك.

أحيانًا في بعض المواضع يُستحسن إنك تظهر شيء من القوة، زي أبو دجانة لما قال النبي –صلى الله عليه وسلم– هذه مشية يبغضها الله إلا في هذا اللي إيه؟ مشية علو مشي متبختر، فالنبي –عليه الصلاة والسلام– قال المشية دي ربنا بيكرهها إلا الموضع ده، اللي هو موضع حرب مع الأعداء، فقال له اتنط على الأعداء عادي، يقول له أنت مش عارف قال له أنت اللي مش عارف أنا عارف ونص و٣ أرباع، أنت مش قوي أنا أقوى منك ولو أنت عايز تعمل أعلمك دلوقتي، هو هنا بينتصر لله.

أو في موقف يوسف –عليه السلام– لما مدح "قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ" يوسف:٥٥، سبّب سبب لتولي هذا، هو لم يرد إلا الدين، لم يرد إلا الدين، وسبّب ذلك والفضل كله لله. ففي بعض الأوقات أنت تذكر، لكن فيه فرق إنك تذكر وفرق إنك تكون حريص. اطلبوا الأشياء بسخاوة نفس، بعزة نفس.

يعني هل لو أنا طلبت من واحد، ده أكون حريص؟ ما أنت أحيانًا بتكون حريص على بعض أجزاء الدنيا، أحيانًا بتكون حريص على بعض الشرف وبعض المال، بس فيه فرق إنك تطلبه وأنت عزيز، بعزة، وبتطلبه وأنت بسخاوة، يعني نفسك مش مستشهفة له، وفرق إنك بتطلبه وعندك استعداد تبيع أي حاجة ولو كان دينك لأجله.

يقول الذهبي: يقول عبيد الله بن جعفر: "إذا كان المرء يحدّث في مجلس فأعجبه الحديث فليمسك، وإذا كان ساكتًا فأعجبه السكوت فليتحدث"

يقول الفضيل: "إذا جلست فتكلمت فلم تبالي من ذمك ومن مدحك فتكلم"

طبعًا دي مقامات، يعني دي ناس مركزة مع نفسها أوي، والهدف من الكلام ده مش إن أنا أقول لك كلام تعقد نفسك في حياتك، ولا أنك أنت تبقى مش عارف أقول ولا مقولش وأفضل قاعد حياتي متردد، لا لا، الهدف بس إنك تشوف أد إيه الناس كانت حريصة على دينها، وأد إيه الناس قررت إنها تكسر نفسها لأجل إن تحافظ على دينها.

قدر المستطاع نحاول نحرص على إن احنا يكون لنا عمل في خفاء، علشان نكسر الحرص ده، نعمل إيه؟ مش فيه معصية السر؟ يبقى فيه طاعة السر، يعني لا تظهر عملك للناس إلا في الأعمال اللي ينبغي أن هي تظهر، يعني هتصلي جماعة؛ ما هيشوفوك، "إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ" البقرة:٢٧١، إن أحيانًا إنك أنت تبدي الصدقة وأحيانًا تخفيها.

إنت شايل هم الدين، يعني أنا بكلمك عن نفسك، أكلمك عن نفسك فتكلمني عن الناس، لا تعارض الشرع بتصورات خاطئة، أنت فرضت فرضية وعلى أثر هذه الفرضية قررت إنك أنت تعارض الحديث، الفرضية خاطئة. عارف لما يقول للنساء "وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ" الأحزاب:٣٣، فواحد يطلع لك يقول لك هو يعني كده معناه إن الست مش هتتعلم، طب ما المسلمين مش هيلاقوا واحدة تعالج بناتهم؟ ممكن تعالج بناتهم وهي قرن في بيوتكن برضه يعني مش فاهم، لماذا أتيت بهذه الفرضية وجعلتها تتعارض مع الشرع؟

أنا أقول لك من الأول إن الفرضية اللي أنت قلتها خاطئة، فرضية إن أنت بتقول إن أنا لو كتمت الحسنة أو الناس تركت الحرص على المال والشهرة، هنا هيتصدر العصاة والفجرة في المال والشهرة، مش ده اللي اتذاع دلوقتي؟ لو أنا هسقط على الواقع، الواقع ليس محل لتحليل الحديث، الحديث "ما ذئبان جائعان أُرسِلا في غنمٍ بأفسدَ لها" أنا عايز أقول لك بس أنت هتعارض الحديث بانطلاق من الواقع، فأنا بقول لك إن الواقع –لأن الواقع بيختلف– الواقع نحن من نصنعه لا هو من يصنعنا، تمام كده؟ فإذا أنت طبقت الحديث الواقع هيتغير، "إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأَنفُسِهِم" الرعد:١١. فإذا غيرت ما بنفسك؛ تغيرت أخلاقك، تغيرت معاملاتك، تغير واقعك.

متفقين على ده؟

طيب هتيجي أنت دلوقتي تقول أنت عرضت عندي قلت لي إن أحيانًا مهم إن الإنسان يحرص على المال والشرف؟ آه أحيانًا مهم، أحيانًا مهم، لكن هل الأصل زي الأحيان؟ يعني هل الأصل زي الاستثناء؟ يعني الصدّيق لما يقول له عمر ابسط يدك أبايعك، هل حِرْص الصديق وأصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– على أن يكون خليفة من بعد موت النبي –صلى الله عليه وسلم– ده حرص على دنيا؟

لا ده كان حرص على أن الدين يستمر.

هل لما سيدنا يوسف –عليه السلام– يقول: "اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ" ده حرص على الدنيا؟

لا ده حرص على إن الدين يقوم.

هل لما سيدنا سليمان يقول: "وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ" ص:٣٥، هل ده حرص على الدنيا؟

لا ده حرص على إن الدين يكمل، ده حرص على بعض المفردات.

الأصل عدم الحرص على المال والشرف

لما تحرص على الدين أنت هتعرف مصلحة الدين فين، فلو مصلحة الدين كانت في الرئاسة أنت هتجيب الدين حتى لو في الرئاسة، لو مصلحة الدين كانت في المال أنت هتجيب الدين لو كان فين؟ في المال.

زي عبد الله بن مبارك كان يجاهد سنة ويحج سنة ويتاجر سنة ويحج فيها وكان ينفق على السفيين (سفيان بن عيينة وسفيان الثوري) يعني هو كان بيتاجر علشان ينفق على العلماء.

هنا لما يكون عندك دين أنت هتعرف أنت هتجيب المال منين علشان تنفقه فين، لكن التلبيس مشكلة، التلبيس خطر، خطأ، فلا تعارض حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– بتصور هو لو الواقع لو أنا لم أحرص على المال والشرف، الحرص ده مسألة داخل النفس ده شح داخل النفس يضيع الدين، لو أنا لم أحرص على المال والشرف وأنا بصلي مثلًا، طب ما هو هيحرص على المال والشرف رجل غير مصلي فبالتالي هو هيتسلط علي، فأقول لا، لا تحرص على المال والشرف مطلقًا، إنما احرص على دينك، ودينك سيؤدي بك إلى حيث أراد الله.

أحيانًا دينك يأمرك إنك أنت بعينك تتقدم للشرف، للمنصب بس أنت لما بتتقدم هنا إيه؟ ومش حريص.

أحيانًا دينك بيأمرك أنت أن تجلب المال، زي كتير من أصحاب النبي –عليه الصلاة والسلام–، لكن أنت هنا منطلق لإيه؟ لدين، لكن للأسف احنا بنعمل إيه؟ بنقول لك احنا عايزين دين، وبعدين فين يا عم الدين؟ ليه مبتقدمش الدين يا عم أحمد؟ يقول لك والله إن شاء الله لما أخلص بس الجامعة، طب أنت خلصت الجامعة يا أحمد ليه بقى مبتقدمش دين؟ والله بس لما أتعين بس في الكلية لما أخلص الماجستير، طب يا عم أحمد أنت دلوقتي خلصت الماجستير ليه بقى مبتعملش دين؟ والله بس لما أخلص الدكتوراة، طب يا عم أحمد أنت الوقت اتعملت دين وخلصت ماجستير وخلصت دكتوراة وبقيت مدرس في الجامعة وبقيت غني ليه متقدمش دين؟ يقول لك لما أتعين رئيس جامعة، حضرتك مش عايز دين ولا هتبقى بتاع دين، بس كله يقول لك أنا بس منتظر لما أصل إلى المنصب علشان إيه؟ علشان أصلح الدين، تصلح دين مين؟ حضرتك تركت الدين أصلًا وأنت جاي، حضرتك من أول امبارح تركته ومشيت وكملت وأنت ما زلت واقف عند نفس النقطة اللي أنا بيها عايز دين، لا أنت مش عايز دين، خلينا صادقين، عندما تنضبط المدخلات ستنضبط المخرجات، عندما تصلح النفس، عندما يُزال الحرص على المال والشهرة، الحرص على المال والشرف، عندما تكسر هذا الحرص داخل نفسك فأنت بذلك تحمي دينك، وعندما تترك هذا الحرص فإنك تترك ذئب جائع على غنم دينك.

دينك ده عامل زي شوية حاجات بسيطة كده جنب بعض، غنم غلبان عايز حماية، عايز حراسة؛ صلاة على صيام على ذكر على دعاء على استغفار، حاجات كلها كتعانة غلبانة بضاعة مزجاة فتريد منك حرص، ماتسيبش فيها ذئب جائع يضيعهولك باسم الدين أو باسم الدنيا، المخلوق ضعيف، الناس ضعيفة، إذا أردت أن تعرف ضعف المخلوقين فانظر إلى عظمة الله –سبحانه وتعالى–.

انظر إلى عظمة الله –سبحانه وتعالى– وأنت تعرف أد إيه الناس محتاجة ربنا، والناس فقراء إلى الله، كل الناس يحتاج إلى الله.

عمر بن عبد العزيز كتب كتابًا يأمر بالتوسيع على الناس والتسهيل عليهم ورد المظالم، وكتب معه لا تحمدوا على ذلك كله إلا الله، فإنه لو وكلني إلى نفسي كنت كغيري.

آخر حاجة: لا تغتر بمدح الناس، الناس ينظرون إلى ظاهرك، تلاقي واحد بيقابلك يقول لك ده أحسن درس سمعته في حياتي، أنت أحسن واحد في الدنيا، بكرة لما يزعل معاك هيقول لك أنت أوحش واحد في الدنيا، أنت أسوأ حاجة شفتها في حياتي، ده متطرف، أنت تعرف

نفسك، متغترش أوي بكلام الناس، أنت عارف إذا كنت صادق ولا كذاب، متنشغلش أوي بالناس وبنظرة الناس، متحرصش أوي على إنك تنال مكانة في وسط كل المجالس.

فيه واحد لما يجي المجلس لو لقى نفسه مش واخد مكانته في المجلس يزهق، يمشي، هو قعدته في المجلس فين؟ لما يكون المجلس كله بيتكلم عنه، لما يكون بهجة المجلس، لما هو فقد الكرسي بتاع البهجة بينزل. وفيه واحد العكس، بيقعد، لازم يطرح قضاياه ومشاكله وابتلاءاته، فلو قعد في مجلس ومطرحش فيه مشاكله برضه لازم يمشي.

الناس مش هتعمل لك حاجة، ازهد فيما عند الناس، الناس مؤذية فتعامل مع الناس بالقدر الذي يأمرك الله –سبحانه وتعالى– به. ماتتعاملش مع الناس بالقدر اللي أنت تُضَر.

أحيانًا بيكون حلك أنك تختلط بأهل الصلاح، وأحيانًا يكون حلك إنك أنت تنعزل.

أحيانًا بيكون حلك إنك أنت تتحرك تأكل من حلال، وأحيانًا بيكون حلك إنك أنت تصوم.

أحيانًا بيكون حلك إنك أنت تقف تصلي، وأحيانًا بيكون حلك إنك تسمع.

أنت عارف نفسك

الحديث مش بيكلمك عن معاملة معينة في موقف معين في بيئة معينة في زمان معين. إنما الحديث بيكلمك على جوه نفسك إنت، حرصك داخل نفسك اللي محدش يعرفه إلا أنت. هل أنت حريص على المال؟ هل أنت حريص على المنصب؟

وفيه فرق يا جماعة بين واحد بيأخذ المال وواحد حريص على المال، فرق بين واحد عنده منصب وفرق بين واحد حريص عليه لدرجة إن هو ممكن يقتل لأجله، ويكذب لأجله، ويغدر لأجله، ويقطع الرحم لأجله، ويضيع الحقوق ويظلم لأجله.

ده اسمه هنا إيه؟ الحرص ده ضيعه.

فالنبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول لك وهو –صلى الله عليه وسلم– أوتي جوامع الكلم، بيقول لك خد بالك من الحرص جوه نفسك، طب أعمل إيه داخل الحرص ده؟ أعمل إيه؟ أضيعه ازاي؟

اكسر الحرص

أكسر الحرص على المال بإيه؟

رقم ١ إنك تعرف المفهوم ده، وتعرف إن المفهوم ده خطر جوه نفسك، ده سرطان لو سبته يتمكن، ده محتاج استئصال، مش هينفع تتعامل مع السرطان تديله شوية ليمون، مش هينفع واحد عنده سرطان تقول له خذ حباية بنادول، لا لا، فيه حاجة اسمها علاج جراحي وعلاج كيماوي وعلاج إشعاعي، ده قصة.

خذ بالك إن النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول لك ده الديب جائع، يدخل على دينك يضيعه، بيقول لك ركز مع نفسك، اكسر الحرص على المال بالإنفاق، واكسر الحرص على الشرف بالتواضع.

تواضع يعني إيه؟ يعني ضع من نفسك، ضع من نفسك، يقول لي هيبقى شكلي وحش، أنا مابقولكش ضع من نفسك علشان يبقى شكلك وحش، أنا بقول لك ضع من نفسك علشان تكسر الحرص على الشرف، ولا يلزم أنك تضع من نفسك إن يكون شكلك وحش، بل بالعكس يقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "وما تَواضَعَ أحَدٌ لِلَّهِ إلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ"[١٠]

[١٠] صحيح مسلم

فهنا النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول لنا السلم عكس اللي أنتم فاهمينه، أنتم فاهمين إنك أنت علشان ترتفع تتكبر، فربنا –سبحانه وتعالى– يرفعك بإيه؟ بالتواضع، إنك تضع من نفسك بين يدي المؤمنين، أهل الجنة كل هين لين، رجل متواضع، الناس كانت متخيلة إن هو يتكبر في الدنيا بإيه؟ بالمال والعشيرة، وهو ده مكان الرقي، فكل ما يبقى معاه أتباع أكثر وفلوس أكثر كل ما هو كده يكون له مكانة أعلى، فربنا –سبحانه وتعالى– أنزل سورة المعارج قال لهم إن الرقي مش بده، العروج وأن الملائكة تعرج، تعرج الملائكة تروح إليه بالعبادة بامتثال لأمر الله، قال لهم أنتم متخيلين إن الفلوس والمال والعزوة والعشيرة والمناصب هي دي مكان العلو أو قيمة العلو؟ قال لهم: "يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ" المعارج١١:١٤.

قال له أنت هتتمنى إنك تسيب كل ده علشان تنجو، أمال العلو فين؟ العلو في الصلاة، العلو في التواضع لله، السجود لله، العلو في الإنفاق. قال: "إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ" المعارج١٩:٢٧، فذكر الله –سبحانه وتعالى– أماكن العلو، وأخلاق العلو، العفة، الأمانة، "لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ –ده معتدي– وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ" المؤمنون٥:٨، "وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ" المعارج:٣٣، ده العلو. يبقى من أراد أن يعلو ويحرص على الشرف؛ فليحرص على الشرف عند الله، إن يكون لك مكانة عند الله –سبحانه وتعالى–.

"خافضة رافعة"

كم من رجل كان مرفوع في الدنيا يُخفض يوم القيامة، وكم من رجل لم يكن له قيمة في الدنيا يُرفع يوم القيامة، يبقى نكسر الحرص على الشرف بالتواضع، نكسر الحرص على الشرف بإن احنا نفهم هستفاد إيه من الناس لما أكون شريف وسط الناس؟ هيعملوا لي إيه؟ هل يملكوا لي نفع، ضر، موت، حياة، نشور، صحة، مرض، رزق؟ هل يملكوا لي أي شيء؟ لا يملكوا لي أي شيء، فلماذا تحرص أن يكون لك مكانة؟ يقول لك أهم حاجة شكلي، يا عم خلي شكلك وحش هيحصل إيه يا سيدي؟ يعني أخلي شكلي وحش؟ أنا مبقولكش اقصد ذلك، لكن لا يمنعك زيادة الحرص على أن يكون شكلك حلو أدام الناس إنك تكذب، لا يمنعك زيادة الحرص إن يكون لك صورة معينة عند الناس إنك أنت تنافق، لا يمنعك إن يكون لك صورة عند الناس حلوة إنك أنت تغدر.

يقول لك يا عم أصل مصلحتي كدا، يا ابني أنت عاطي كلمة، غدر، ليه؟ هيقول لمصلحة العجوة، بقت العجوة ..

يبقى يا جماعة نكسر الحرص على المال بالإنفاق ونكسر الحرص على الشرف بإيه؟ بالتواضع، ليه؟

لأن الحرص على الشرف والمال بيضيعوا الدين أكثر من إن ذئب أطلقته في الغنم، وكلمة أطلقته في الغنم، وبها أختم تختلف عن إن الذئب جنب الغنم، أطلقته في الغنم يعني إنت قفلت على الغنم مع الديب، والديب جعان، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول لك احرص على دينك، وخد بالك إن الحرص على الشرف والمال يضيع لك دينك، الرجل الذي حرص على الشرف أبو جهل؛ لما قال: كنا كفرسي رهان هم بيسقوا الحجيج واحنا لنا الرفادة، هم عندهم شرف في مكة واحنا عندنا شرف في مكة، حتى إذا قالوا فينا نبي أنى لنا هذا، لأ أكذبه، الناس اللي ضيعت دينها بسبب الحرص على الشرف؛ اليهود، لما ذهب حيي بن أخطب قال أهو أهو؟ قال هو هو، قال له هو ده النبي الموجود في كتابنا التوراة اللي احنا بنقرأه وبنعلمه للناس؟ قال له والله هو بالضبط، نفس الصفات اللي التوراة قالت عليها بالضبط، قال أهو أهو؟ قال هو هو، قال: فما نفعل، قال: عداوته ما بقيت.

كان متوقع إن هو يقول نسلم بين يديه، ما هو مكتوب عندنا ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم، لكن إيه اللي ضيعه؟ حرصه على الشرف والمال.

قال -تعالى-: "ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ" المزمل١١:١٥، هو ده المغيرة، الوليد بن المغيرة اللي كان حريص قال له أنا عندي كل حاجة، كان حريص على الشرف والمال، ضيعه الحرص على الشرف والمال، يخاف إنه يسلم لا المال يضيع، يخاف إنه يقرب من ربنا لا المنصب يضيع.

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- بيقول: "ما ذئبان جائعان أُرسِلا في غنمٍ بأفسدَ لها من حِرصِ المرءِ على المالِ والشرفِ لدِينِه" أي أنه يفسد دين الرجل بحرصه على المال والشرف، كما تفسد هذه الغنم إذا أرسلا فيها ذئبان جائعان.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم